

الأثر الدلالي للتقديم والتأخير في الخطاب القرآني

سورة "الكهف" أنموذجاً.

أ . ثامر بوشارب

جامعة زيان عاشور - الجلفة -

الجزائر

Abstract:

The ranking of the most prominent elements of the conversion, and most obvious, because the speaker goes to the right Morvim delay came about with the Arabs is provided by, or to the right presentation Viak a request to show the order of meanings in self Words trace meanings in psychology.

الترتيب ويقصد به التقديم والتأخير في عناصر الجملة .يقال: تقدمه وتقدم عليه واستقدم، وتقدمته، وأقدمته، فقدم وأقدم بمعنى، تقدم، ومن مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة، والإقدام في الحرب ، وتأخر وأخر خيرا استأخر .

فالتقديم والتأخير في اللغة متناقضان، حيث يعني الأول بوضع الشيء أمام غيره وقد كان خلفه، ويعنى الثاني بوضع الشيء خلف غيره، وقد كان أمامه، وبالمعنى نفسه انتقل هذا المبحث من الوضع اللغوي إلى الدلالة الاصطلاحية .¹

يعد الترتيب من أبرز عناصر التحويل وأكثرها وضوحا، لأن المتكلم يعمد إلى مورفيم حقه التأخير فيما جاء عن العرب فيقدمه، أو إلى ما حقه التقديم فيؤخره، طلبا لإظهار ترتيب المعاني في النفس² فالكلمات تتبع أثر المعاني في النفس .

وقواعد الترتيب هي من الخصائص الكلية المهمة في اللغات الإنسانية، وذلك أن لكل لغة ترتيبها الخاص ولكن المهم أن نعرف الترتيب البنية العميقة أولا ثم نبحت عن القوانين التي تحكم تحول هذا الترتيب ... ننظر مثلا في الجملة الإنجليزية الآتية:

3 A detective hunted down the Killer.

هذا هو ترتيب الجملة في بنيتها العميقة، يمكن أن تتحول بالترتيب نفسه إلى بنية السطح ويمكن أن يتغير الترتيب بنقل كلمة (down) لتصير :

A detective hunted the Killer down.

والحق أن العرب القدماء قد عنوا هذه الظاهرة عناية بالغة وأخذوا يحكمون القوانين التي تنظمها، فبحثوا قضية (التقديم، والتأخير) وتأثيرها على تركيب الجملة من حيث الإعمال والإلغاء ومن حيث التغير الدلالي .⁴

عد التحويليون الترتيب عنصرا من عناصر التحويل في الجملة، ويتم ذلك بإحلال عنصر مكان عنصر آخر فيها، ويمكن التعبير عن هذا العنصر رياضيا بالشكل التالي: أ + ب + أ .⁵ ←

والحقيقة أن هذا الموضوع التقديم والتأخير . قد أخذ حظا وافرا من جهود علمائنا من السلف الصالح حيث يقول سيبويه: (إن قدمت المفعول آخرت الفاعل، جرى اللفظ كما جرى الأول: ضرب زيد عبد الله، لأنك إنما أردت به مؤخرا ما أردت به مقدما ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه، وإن كان إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم)⁶. ويقول في موضع آخر: (والتقديم ها هنا والتأخير فيما يكون ظرفا أو يكون اسما في العناية والاهتمام مثله فيما ذكرت لك في باب الفاعل والمفعول وجميع ما ذكرت لك من التقديم والتأخير والإلغاء والاستقرار عربي جيد كثير، فمن ذلك قوله تعالى: { لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } وأهل الجفاء من العرب يقولون: ولم يكن كفوا له أحد، كأنهم أخروها، حيث كانت غير مستقرة)⁷ فسيبويه اعتبر التقديم والتأخير رمزا للعناية والاهتمام .

أما الجرجاني فلا يقف عند هذا الحد باعتبار التقديم والتأخير للعناية والاهتمام فقط بل يعتبره عنصر من عناصر إدراك أسرار التركيب اللغوي وتذوق حلاوته حيث يقول: (هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بدیعة ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا، يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنتظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان)⁸

ويقول في موضع آخر: (وقد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال إنه قدم للعناية، ولأن ذكره أهم، من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية، ولم كان أهم، ولتحليلهم ذلك، قد صغر أمر التقديم والتأخير في نفوسهم وهونوا الخطب فيه، حتى إنك لترى أكثرهم يرى تتبعه والنظر فيه ضربا من التكلف⁹ ويقول: " الملم أن من الخطأ أن يقسم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره قسمين، فنجعل مفيدا في بعض الكلام، وغير مفيد في بعض، وأن يعقل تارة بالعناية وأخرى بأنه توسعة... فمتى ثبت في تقديم المفعول مثلا على الفعل، في كثير من الكلام، أنه قد اختص بفائدة لا تكون تلك الفائدة مع التأخير، فقد وجب أن تكون تلك قضية في كل شيء وكل حال ".¹⁰

وقد اعتنى نحاة العربية بهذه الظاهرة ودرسوا أثرها من ناحية تركيبية ودلالية فقد أشاروا إلى أن التقديم والتأخير، قد يؤدي إلى انتقال الكلمة من حالة إعرابية إلى حالة إعرابية أخرى من ذلك قولهم: إن نعت النكرة إذا تقدم عليها أعرب حالا وذلك نحو قول كثير :

لمية موحشا ظلل يلوح كأنه خلل.

فالأصل: ظلل موحش لمية ¹¹ .

ومن جملة الركائز التي تبنى عليها الجملة " الرتبة "، باعتبار أن عملية التأليف اللغوي تنظمها وتحكمها علاقات موقعية تحتلها أركان التركيب اللغوي، وقد اعتنى رواد الفكر اللغوي ببيئاتها وشرح أهميتها، وأولى البديهييات التي تقررت لديهم في هذا المقام هو أنه من حق الحدث الكلامي أن يترتب في الحدوث، فلا بد لأجزائه أن تنتظم سمعياً على خط الزمن سابقاً فلاحقاً فتابعاً وفق ما تمليه مواصفات اللغة، وإلا كان غير مفيد . ¹²

وإشكال الرتبة إشكال تمثيلي، علاوة على أنه إشكال نظري، نظراً لما هناك من العلاقة في عدد من المدارس اللسانية بين جوهر النظرية ونظرية التمثيل النحوي ففي إطار نموذج من النماذج نجد وسائل تمثيلية واشتقاقية محددة تمكن من وصف الظواهر الرتبة باستعمال مفاهيم لا تأخذ دلالة إلا في إطار النظرية المقترحة . ¹³

لذلك فإن الرتبة هي موقع مخصوص يحتله كل ركن داخل في تشكيل الجمل أو الجملة، وفق ما تمليه علاقات التركيب اللغوي لأي لغة .

أنواعها: تنقسم الرتبة في الجملة العربية قسمين:

أ . الرتبة الثابتة أو المحفوظة:

تشتمل تلك المواقع التي تحتلها كل كلمة داخل التركيب اللغوي المخصوص بحيث لا يجوز تحويلها، وإلا اختل نظام التركيب وعلاقاته باختلاله . ¹⁴

وضمن باب التقديم والتأخير، حيث درس اللغويون عادة هذه القيمة، بين ابن السراج الأشياء التي لا يجوز الإخلال بمواقعها، إذا قال: (فالثلاثة عشر التي لا يجوز تقديمها، الصلة على

الموصول والمضمر على الظاهر في اللفظ والمعنى إلا ما جاء على شريطة التفسير، والصفة وما اتصل بها على الموصوف، وجميع توابع الاسم حكمها كحكم الصفة، والمضاف إليه وما اتصل به على مضاف، وما عمل فيه حرف أو اتصل به حرف زائد لا يتقدم على الحرف وما شبه من هذه الحروف بالفعل فنصب ورفع فلا يقدم مرفوعه على منصوبه، والفاعل لا يقدم على الفعل) .¹⁵

ب . الرتبة المتحولة أو غير المحفوظة:

تتعلق بالتركيب اللغوية التي لا تحتل إذا تقدمت بعض العناصر اللغوية أو تأخرت وقد قلنا (اختلت) ولم نقل (تأثرت) لأن تقديم أي ركن لغوي عن موقعه أو تأخيره، لا يعني الخروج عما تمليه القواعد التركيبية، لذلك يبقى مضبوطا بما يوجبه ويحدده نظام اللغة . وقد حاول اللسانيون معرفة الترتيب في البنية العميقة، أي في البنية الأصلية التي توجهها قواعد اللغة أولاً، ثم تلك التي لا تظهر على مستوى الإنجاز الفعلي للغة ثانياً، قصد البحث عن القواعد التي يحول هذا الترتيب إلى أنماط مختلفة في الكلام الفعلي على السطح، وقد بينوا أن اللغات الإنسانية تخضع من حيث التركيب لثلاث طرق أساسية في تركيب أركانها:

الطريقة الأولى: الفاعل (المبتدأ) + الفعل + المفعول به . (SVO).

الطريقة الثانية: الفاعل (مبتدأ) + المفعول به + الفعل . (SOV).

الطريقة الثالثة: الفعل + الفاعل + المفعول به . (VSO).

ويعتبر تشومسكي وجرينبرج أن الرتبة الأصلية في الإنجليزية هي الطريقة الأولى (SVO) .

كما عد جرينبرج كذلك والفاسي الفهري أن العربية من نمط: (ف + فا + مف) (VSO) حتى وإن كان تشومسكي يكاد ينكر وجود لغات من هذا الصنف .¹⁶

أهمية التقديم والتأخير في إيصال المعنى:

يرتكز المعنى المراد من الكلام على كيفية بناء الجملة لتؤدي غرضها داخل النص، ولا سيما في التصوير البياني، حيث يكون تنظيم الكلمات عنصراً هاماً في جماليات الاستعارة، وفي توضيح

ما نسميه عمود الشعر العربي على الإجمال... ومن ثم يحتاج المتكلم بغية تمام المعنى وإيصاله على وجه المراد . إلى التقديم والتأخير في ألفاظ الجملة بحيث يلعب هذا الإجراء دورا بارزا في إيصال المعنى المراد .¹⁷

وقد جاء التقديم والتأخير في كلام العرب وأشعارهم كثيرا، فضلا عما جاء منه في أروع كتاب بياني عرفته العربية (القرآن الكريم) فجاء التقديم على صور متعددة، منها تقديم المفعول على الفاعل، وعلى الفعل والفاعل، وجاء تقديم شبه الجملة على الفاعل وعلى الفعل وجاء تقديم الخبر، وتقديم الفضلات في صور نص عليها النحاة، ووراء كل تقديم غرض يتعلق بالمعنى¹⁸ .
ومن سنن العرب تقديم الكلام وهو في المعنى مؤخر، وتأخيره وهو في المعنى متقدم كقول (ذي الرمة) :

ما بال عينك منها الماء ينسكب، أراد: ما بال عينك ينسكب منها الماء .¹⁹

ويذكر الجرجاني أن التقديم يكون لأمرين (تقديم يقال إنه على نية التأخير، وذلك في كل ما أقررتة مع التقديم على حكمه الذي كان عليه وفي جنسه الذي كان فيه، كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ، والمفعول إذا قدمته على الفاعل، والتقديم لا على نية التأخير ولكن أن تنتقل اللفظ عن حكم وتجعله في باب غير بابه وإعراب غير إعرابه، وذلك أن تجيء على اسمين يحتمل كل واحد منها أن يكون مبتدأ والآخر خبرا له، فتقدم تارة هذا على ذاك وأخرى ذاك على هذا)²⁰ .

ويقول ابن جني عن التقديم والتأخير أنه (... على ضربين: أحدهما يقبله القياس، والآخر ما يسهله الاضطرار)²¹ .

وسنتناول صور التقديم والتأخير في سورة الكهف من وجهين:

أ . تقديم اللفظ على عامله .

ب . تقديم اللفظ على غير عامله و هذا يرجع لعل وضعها ووضحها النحاة والمفسرون .

1 . تقديم اللفظ على عامله:

أ . تقديم الخبر على المبتدأ:

{قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ
وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا} . الكهف 26

ومعلوم أن الجملة الاسمية تكون على الأشكال التالية:

مبتدأ + خبر (مفرد) .

مبتدأ + خبر (جملة فعلية أو اسمية) .

مبتدأ + خبر (شبه جملة " ظرف أو جار و مجرور) .

ففي هذه الآية قدم الخبر جوازا، لأن المبتدأ (غيب) ليس نكرة محضة أو غير مقيدة، بل هو نكرة خصصت بالإضافة،

وإنما قدم الخبر المجرور لإفادة الاختصاص، أي: الله لا غيره، ردا على الذين يزعمون علم خبر أهل الكهف ونحوهم²².

ومن روائع هذا التقديم المتعلق بجلال الله الاختصاص . فمهما بلغ الإنسان من تطور في العلوم تظل هناك أشياء غيبية مغيبة في السموات وفي الأرض وفي نفسه اختصها الله بعلمه فلا يعلمها إلا هو .

وقد تم التحويل هنا:

تقديم المسند (له) على المسند إليه (غيب) لإفادة الاختصاص .

{هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا} . الكهف 44

هنالك فيها وجهان: أحدهما: هو ظرف والعامل فيه معنى الاستقرار في (الله) والولاية مبتدأ (الله): الخبر، والثاني: هنالك خبر الولاية، والولاية مرفوعة به، والله يتعلق بالظرف أو بالعامل في الظرف . أو بالولاية²³.

وتقدير الآية: الولاية لله الحق هنالك أي: يوم القيامة، والتقديم هنا جائز لأن المبتدأ معرفة .

والتقديم هنا مما يفيد الاختصاص.

{وَرَبُّكَ الْعَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا} . الكهف 58

بل حرف إضراب و(لهم) خبر متقدم وموعد مبتدأ مؤخر²⁴، فالخبر واجب التقديم في الآية أن موعدهم متحقق . لأن التقديم أفاد الاختصاص . ولا شك في حدوثه ويشعر به كل كافر ومنكر . وقد تم فيه التحويل مثل الآية 06 والآية 44 .

{وَأَمَّا مَنْ أَمَّنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا} . الكهف 88
(له) خبر متقدم و(جزاء) تمييز وأعرابها أبو حيان مصدرا في موضع الحال أي مجازي كقولك في الدار قائما زيد²⁵.

وقيل انتصب على المصدر أي . يجزي جزاء²⁶، والحسنى مبتدأ مؤخر أي فله الفعلة الحسنى جزاء²⁷، قال الفراء ونصب جزاء على التفسير أي لجهة النسبة أي نسبة الخبر المقدم وهو الجار والمجرور إلى المبتدأ المؤخر وهو الحسنى والتقدير فالفعلة الحسنى كائنة له من جزاء الجزاء .²⁸

وجاز تقديم الخبر هنا لأنه شبه جملة و المبتدأ معرفة، وقد أفادت الاختصاص .

ب . تقديم خبر كان:

{وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفْرًا} . الكهف 34
(كان) فعل ماضي ناقص و(له) خبر كان المقدم و(ثم) اسمها المؤخر²⁹ . وإنما قدم خبرها على اسمها لأن اسمها (ثمر) نكرة .

ومن المعلوم أن النكرة إذا دخل عليها ناسخ لا تكون مبتدأ، بل تصبح اسما للناسخ ومن ثم يصح في أسماء النواسخ أن تكون في أصلها معارف أو نكرات . كقولهم: كان إحسان رعاية الضعيف .³⁰

ومنه فإن دخول النواسخ على الجملة الاسمية يسوغ الابتداء بالخبر، وقد أفاد التقديم هنا الاختصاص .

وقد تم التحويل هنا على النحو الآتي:

1 . تقديم الجار و المجرور (الخبر) على المبتدأ (ثمر) .

2 . التحويل بزيادة الفعل ناقص (كان) للدلالة على الماضي .

{وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا} . الكهف 43

(تكن) فعل مضارع ناقص مجزوم وله خبرها المقدم وفئة اسمها المؤخر وجملة ينصرونه

صفة لفئة وذكرت الصفة وجمعت لأن الفئة تتضمن الجمع وهو يتضمن الذكور والإناث .³¹

فاسم كان مخصص بالصفة فجاز الابتداء بالجار ومجرور، وقد تم التحويل فيها مثل ما حدث في الآية 34 .

{ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ

سَفِينَةٍ غَصْبًا } . الكهف 79

قدم الظرف (وراء) على اسم كان (ملك) ليفيد الاختصاص، والظرف إذا كان خبرا كان تقديمه على اسم النواسخ كثيرا ما يحدث .

{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا } . الكهف 107

حيث تقدم الجار والمجرور (لهم) وهي خبر كان على اسمها (جنات) لأن جنات معرفة بالإضافة ويجوز النحويون تقديم الخبر عليها وقد أفادت هنا الاختصاص .

ج . تقديم خبر إن: وهذا التقديم جاء في سورة الكهف مرة واحدة وهي:

{فَيَمَّا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا

حَسَنًا} . الكهف 2 (لهم) خبر أن المقدم وأجرا اسمها المؤخر .³² فتقديمها هنا كذلك يفيد

الاختصاص .

وقد تم التحويل هنا كالتالي:

1 . تقديم الخبر (لهم) على المبتدأ (أجرا) لإفادة الاختصاص .

2. التحويل بزيادة (إن) على الجملة الاسمية لتفيد التأكيد .

ومن التقديم للاختصاص كذلك :

د . تقديم الظرف أو الجار والمجرور على عاملها:

{إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا} .الكهف 10
فتقدم الجار والمجرور (من لذك) و (من أمرنا) للاختصاص أي: رحمة مخصوصة وكذلك
في الثانية:(من أمرنا رشدا).

وقوله تعالى { فَاَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكَبَا فِي الْسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ

جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا } الكهف 71 .

(إذا) ظرف للزمان الماضي هنا، وليست متضمنة معنى الشرط...وبين نظم الكلام على تقديم
الظرف على عامله للدلالة على أن الخرق وقع بمجرد الركوب في السفينة، لأن في تقديم
الظرف اهتماما به، فيدل على أن وقت الركوب مقصود لإيقاع الفعل فيه .³³

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا } .الكهف 01

تقدم شبه الجملة من الجار والمجرور (على عبده) على المفعول (الكتاب) وتقديره: أنزل
الكتاب على عبده فهذا التقديم أفاد الاختصاص .

{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَا هُمْ هُدًى} . الكهف 13

فقد تقدم الجار والمجرور (عليك) على المفعول به (نبأهم) وتقديرها: نقص نبأهم عليك
بالحق، ومثل ما أفاد التقديم في الآية السابقة أفاد هنا أيضا وهو الاختصاص، لأن علماء أهل
الكتاب كانوا يظنون بأنهم يعلمون الحق دون غيرهم، لذا خص الله عز وجل نبيه بالعلم الحق
دون سواه فقدم ذكره على غيره .

وفي هذه الآية تقديم آخر: وهو تقديم المسند إليه (الفاعل) على المسند الفعلي في الجملة (نحن نقص عليك) يفيد الاختصاص، أي نحن لا غيرنا يقص قصصهم بالحق .

{حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا} . الكهف 90

تقديم الجار والمجرور (لهم) و(من دونها) على المفعول به (سترا)، لأن الحال هنا من الشمس والإفادة الاختصاص أي: هي خاصة بهم دون غيرهم من البشر الذين تطلع عليهم .

{أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا} . الكهف

105

أفاد تقديم الجار والمجرور (لهم) على المفعول به (وزنا) الاختصاص، ولقد تقدم المتعلق على غيره ممن له الحق في التقديم وكلها لتفيد الاختصاص .

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا} . الكهف 01

تقدم الجار والمجرور (له) على المفعول به (عوجا) لإفادة الاختصاص وليصل إلى الكتاب بمعنى اختصاص الكتاب بأنه لا عوج فيه .

تقديم المفعول به:

{وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنِّ أْنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا} . الكهف

39

يجوز أن تكون (ما) شرطية منصوبة الموضع بفعل الشرط (شاء) والجواب محذوف (كان) والمعنى أي شيء شاءه الله كان .³⁴ فقدمت عليه لأن الفعل واقع عليه .³⁵

{ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ

الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ

وَلِيًّا مُرْشِدًا} . الكهف 17

(من) في الموضعين شرطية في محل نصب مفعول به مقدم على الفعل³⁶، وتتصب (من) على المفعول به لأن الفعل بعدها لم يسوق مفعوله، ولأنها من الألفاظ التي لها الصدارة في الكلام .

تقديم اللفظ على غير عامله:

يرد هذا النوع لعلة نكرها النحويون والمفسرون والبلاغيون وهي دالة على عظمة التركيب القرآني في استعمال الألفاظ والكلمات في سياقها، وسنحاول البحث فيها وفق ما يلي:

تقديم السبب على المسبب:

نجد منها قوله تعالى: { وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا } . الآية 16

فتقدمت رحمة الله لهم على غيرها من النعم التي من الله عليهم بها، لأنها . الرحمة . هي أساس وسبب بقاء النعم، وانطلاقاً من هذا المفهوم انطلق الفتية في دعائهم وطلبهم من الله طلب الرحمة {إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا } .
الكهف 10

وكذلك {فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتِيَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا } . الكهف 65
فحاجة الإنسان إلى الرحمة من الله أولاً، ثم تظهر آثارها على العبد علماً وبقينا .

التقديم في الأعداد:

نحو قوله تعالى {سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةً سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةً وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْنَفِتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا } . الكهف 22

فالأعداد تأتي مرتبة وكل عدد هو متقدم على ما قبله بالذات فقدم الثلاثة ثم الأربعة وهكذا حتى يتناسب ترتيب الأعداد .

الترتيب للتقديم المعنوي:

يتضح هذا المفهوم في علاقة الترتيب بين الألفاظ والمعاني وتتبعها لها فيما أن يقدم المعنى عليه أو يقدم اللفظ وهو في المعنى مؤخر فمثلا في {وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأُولِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا}. الكهف 55 فالاستغفار متعلق بالإيمان، إذا المؤمن هو الذي يستغفر فالتعلق المعنوي بين الإيمان والاستغفار العلاقة الرابطة في المعنى ويتضح ذلك في قوله تعالى {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُتَّخِذِ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا}. الكهف 51

فالترتيب تسابق للسبق الزمني في الوجود فخلق السموات والأرض سابق لخلق الإنسان، لأن الله . عز وجل . هيا المكان وأسباب المعيشة للإنسان ومن أوجدها فيها، ويظهر التقديم المعنوي جانبا من طبيعة نفوس الكافرين في قوله تعالى على لسان الفتية: {إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا} الآية 20، لأن طبيعة الكفار أنهم إذا تمكنوا من المؤمنين وراقبهم عذبهم وأوقعوا فيهم أشد أنواع الضرر ولا يهتمهم عودتهم لملتهم لأنهم . الكافرين . لا يعملون من أجل ما يعبدون .

ومن بديع التقديم إفادته لدلالة المحبة والتعلق بالمقدم كنحو قوله تعالى في { الْمَالُ وَالْبُنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا}. الكهف 46 ونظيرتها الآية {وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا}.

الكهف 34

فقد تقدم ذكر المال على البنين في الآيتين وهذا التقديم يختص السامعين الذين لم يؤمنوا بعد لأنهم يقدمون الدنيا على الدين . وفي الآية: {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَنَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا}. الكهف 49

يظهر أثر الدهشة على لسان المجرمين، فالكافر لا يظن أنه يوماً ملاقي ربه ومحاسب على عمله، وإذا به يفاجأ بكتاب يحمل كل ما فعله من كبائر وذنوب، لكنه يصعق ويندهش من هذا الكتاب الذي لا يغادر صغائر الأمور فكيف الحال بكبائرها .

العناية بالأهم:

{ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا } . الكهف 18

قدم اليمين للعناية والاهتمام به فهو أعلى منزلة من الشمال، أو للتشريف .³⁷

وقوله تعالى في {أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَقًا}. الكهف 31

قدم الذهب على الثياب مراعاة للأهم .

وفي الآية: {أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا } . الكهف 79 ، فقدم على ما بعده وهو مؤخر عنه في المعنى، لأن ذلك يحصل للتوافق .³⁸

فظاهر الكلام يقتضي تأخير قوله { فأردت أن أعيبها } عن قوله: { كَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا } . لأن إرادة العيب مسببة عن خوف الغصب عليها فكان حقه أن يتأخر عن السبب والجواب على ذلك أنه سبحانه قدمه للعناية به³⁹

وجملة { أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ } متفرعة على كل من الجملتين بحسب الظاهر، ولكنها قدمت خلافاً لمقتضى الظاهر لقصد الاهتمام والعناية بإرادة إعاقة السفينة حيث كان عملاً ظاهره الإنكار وحقيقته الصلاح، ويقول الزمخشري عن هذه الآية: فإن قلت: فأردت أن أعيبها، مسبب عن خوف الغصب عليها، فكأن حقه أن يتأخر عن السبب، فلما قدم عليه؟، قلت: النية به التأخير، وإنما قدم للعناية، ولأن خوف الغصب ليس هو السبب وحده، ولكن مع

كون السفينة للمساكين، فتوسط إرادة العيب بين السفينة والمسكنة، كتوسط "الظن" بين المبتدأ والخبر في قولك: زيد ظني مقيم، في أنه يتعلق بالطرفين⁴⁰.

دلالة المكان:

الآية {حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا}. الكهف 86

قيل لماذا بدأ بالمغرب قبل المشرق وكان مسكن ذي القرنين من ناحية الشرق؟ قيل القصد الاهتمام، إما لتمرد أهله وكثرة طغيانهم في ذلك الوقت، أو غير ذلك مما لم ينته إلينا علمه.⁴¹

الإفراد والجمع:

الآية {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا}. الكهف 46 ، تقدم المال على البنون وفي ذلك مراعاة للإفراد، فإن المفرد سابق على الجمع.⁴²

التغليب:

لننظر إلى الآية {إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا}. الكهف 24 ، عندما نرجعها إلى جملة الشرط: إذا نسيت اذكر ربك فالتقديم هنا لإفادة التغليب أي يكون الذكر لله هو الأصل وهو الحالة الغالبة للمؤمنين، أما النسيان فهو حالة طارئة وعابرة.

الهوامش:

- 1- مختار عطية : التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية، د ت، ص 15
- 2- خليل احمد عمارة: في نحو اللغة وتراكيبها، منهج وتطبيق، عالم المعرفة، السعودية، ط1، 1984م، ص 88 .
- 3- عبده الراجحي : النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، لبنان ، 1986م، ص 154 .
- 4- المرجع السابق : ص 155.
- 5- حليلة احمد عمارة : الاتجاهات النحوية لدى القدماء-دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة- ،دار وائل للنشر والتوزيع ،الأردن، ط1، 2006، ص 220
- 6- سيبويه: الكتاب، ت: عبد السلام هارون، دار الجيل، لبنان، ط1، 1411هـ/1991م ، الجزء 2، ص241.
- 7- المصدر السابق: ص244.
- 8- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، ت: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، لبنان، 1432هـ/2001م ، ص 148 .
- 9- المصدر السابق: ص 149 .
- 10- المصدر السابق: ص 151 .
- 11- حليلة احمد عمارة : الاتجاهات النحوية، ص 220 .
- 12- عبد الحلیم بن عيسى :القواعد التحويلية في الجملة العربية، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2011، ص 39 .
- 13- الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1985م، ص 104 .
- 14- عبد الحلیم بن عيسى : المرجع نفسه، ص 41 .

- 15- المرجع السابق : ص 42 .
- 16- عبد الحليم ابن عيسى : المرجع نفسه ص 43 ، وينظر الفاسي الفهري : اللسانيات واللغة العربية، ص 105 .
- 17- مختار عطية : المرجع نفسه، ص 17 .
- 18- خليل احمد عمايرة : في نحو اللغة وتراكيبها، ص 91 .
- 19- ابن فارس : الصحابي في الفقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، ت: عمر فاروق الطباع ، مكتبة المعارف، ط 1 1414 هـ / 1993 م ، لبنان، ص 244.
- 20- الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 154.
- 21- ابن جني: الخصائص، ت: محمد علي النجار ،عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط2، 1430هـ/2010م، ص 558 .
- 22-محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر ،تونس،1984م، ج 15، ص 302 .
- 23-أبو البقاء عبد الله بن حسن العكبري: البيان في إعراب القرآن، ت: علي محمد البجاوي، مطبعة : عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، 1986 م، مصر، ص 849 .
- 24-محي الدين الدرويش : إعراب القرآن وبيانه ، دار الإرشاد للشؤون الجامعية ، دار بن كثير للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان ، ط3، 1412هـ/1992م، ج 5، ص 625 .
- 25- محي الدين الدرويش: المصدر نفسه، ج 6، ص 23 .
- 26- العكبري: المصدر نفسه: ص 860 .
- 27- محي الدين الدرويش: المصدر نفسه، ص 23 .
- 28- أبي زكريا يحي بن زياد الفراء: معاني القرآن، عالم الكتب، الطبعة الثالثة 1403 هـ / 1983 م الجزء الثاني، بيروت، ص 159 .
- 29- محي الدين الدرويش: المصدر نفسه ج 5 ص 599 .

- 30- إحسان عباس: النحو الوافي: ج 1، ص 488 .
- 31- محي الدين الدرويش: المصدر نفسه ج 5، ص 603 .
- 32- محي الدين الدرويش: المصدر نفسه ج 5، ص 531 .
- 33- الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير: ج 15، ص 375 .
- 34- محي الدين الدرويش: المصدر نفسه ج 5، ص 602 .
- 35- الفراء : معاني القرآن، عالم الكتب، لبنان، ط3، 1403هـ/1983م ، ج 2، ص 145 .
- 36- ينظر: محمود صافي: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، دار الرشيد ، لبنان، ط3، 1416هـ/1995م، ص145 ، ومحي الدين الدرويش: المرجع السابق، ص 553 .
- 37- بدر الدين محمد الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ت : محمد أبو الفضل ، دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة الأولى ، 1958 ، بيروت ج 3، ص 256 .
- 38- محمد السيد شيخون: أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، دس، ص102.
- 39- محي الدين الدرويش: المصدر نفسه، ج 6، ص 18 .
- 40- الزمخشري: الكشاف، ت: عادل احمد عبد الموجود ومحمد علي عوض، مكتبة العبيكان، السعودية ، ط1، 1418هـ/1998م، ج3، ص495.
- 41- محمد السيد شيخون: أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم، ص.94
- 42- الزركشي: المصدر نفسه، ج3، ص314.